سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

أوراق علمية
(٥٥٣)

نقد كتاب "آخر أيام محمد" لهالة الوردي

الجزء الثاني

إعداد:
د.طارق الحمودي
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

WWW.SALAFCENTER.COM

Salaf Center
00966 5565 412942

التهويل:

من المسالك القبيحة التي استعملتها هالة تهويل ما الأصل فيه التهوين، أي: التضخيم المعنوي لأحداث ليس لها قيمة في رسم الخطوط العريضة للقراءة التاريخية، وكان منها التضخيم وتكلف التهويل في أحداث هي من طبيعة البشر وليس فيها مذمَّة، وكثير منها غارق في بحار المناقب والممادح، من ذلك: أنها صوَّرت انسحاب جيش المسلمين في معركة مؤتة بأمر خالد بن الوليد في صورة "**هزائم**"، ووصفتها بأنها «**الانكسارات العسكرية التي مني محمد بها أمام البيزنطيين**»[1]، ووفقا للمصادر فقد كانت خسائر البيزنطيين أعلى، وكان الوصف النبويّ لهذا الانسحاب وصفا لحالة نصر لا هزيمة.

كان من "**شدة التهويل**" أنها استمرت مصِرَّة على تذكير القارئ بهزيمة مؤتة، وكان أن قالت مرة: «**إن الهزيمة الكارثية التي تكبَّدها المسلمون في مؤتة**»[2]، وقالت: « **غداة السحق الذي تعرضوا له على أيدي الروم**»[3]، فتشعر وأنت تقرأ مثل هذه التعابير أن في قلب هالة كمية كارثية من الشماتة بالمسلمين بسبب هزيمة لم توجد، وكان قصدها وراء ذلك أن زعمت أن هزيمة مؤتة وتجربة تبوك الأليمة –في زعمها– أضعفت سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعلته عرضة للانتقادات من أمته، وأن ذلك كان سببا في بداية أزمة سياسية داخلية[4]، وعند التأمل في حقيقة ما جرى، بالنظر في الروايات واستثارة ما فيها، ينكشف للناظر أن كل ما ادعته هالة شعوذة أدبية، فلا المسلمون انهزموا في مؤتة، ولا كانت تجربة تبوك أليمة، ولا المسلمون انتقدوا النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان لكل ذلك أثر كبير في شحن القلوب بالعزة والثقة، وتقوية الوحدة الداخلية، ورفع درجة ولاء المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية إيمانهم بنبوته، ولكنه الخيال عند هالة، صنع بها الأعاجيب، وقد كانت غارقة فيه.

ومن ذلك: أنها قالت في تذكير أبي بكر لهم بآية: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]: «**غريب أمر هذه الآية القرآنية، لا يذكر أيّ من الحاضرين ولا حتى عمر أنه سمعها قبل**»[5]. **قلت**: صورة التدليس هي: من أين لها هذا التعميم: "**أي من الحاضرين**"؟ هل

---

١ ص١١٥.

٢ ص٥٠.

٣ ص٣٩٦.

٤ ص٥٠.

٥ ص١٢

كانت روح هالة حاضرة في الماضي فمرت متسللة إلى صدورهم، فلم تجد أحدا منهم تذكرها إلا أبا بكر، ثم عادت عبر مسالك زمكانية لتروي ما وجدته؟! لو كان شارك هولمز هنا لشَدَّ شعره في الغالب من جرأة هالة على جعل كل شيء تقريبا مريبا... وإني والله لأجد فيما تفعله هالة أمرا مريبا!

الجهل:

يجد القارئ لكتاب هالة الوردي أدلة وشواهد كثيرة على جهلها، وهذا أمر يطعن في مصداقيتها وقدرتها على البحث العلمي، ومن ذلك قولها: «**بل إن بعض سرديات كتب التراث الإسلامي الشيعية منها والسنية تلمح إلى أن قران عمر بأم كلثوم جرى على خلفية حادثة اغتصاب دنيئة**»[٦]. فما زعمته هالة مثير للسخرية، وإذا ظهر السبب زال العجب، فالناظر في الرواية الشيعية عند الكليني في الكافي –الذي أحالت إليه في الهامش– يجد التالي: «**ذلك فرْج غُصبناه**»، ومن يعرف كلام العرب يفهم أن المقصود أن عمر –في الرواية الشيعية– غصب وأجبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه على تزويجه أم كلثوم له، وهالة أو من نقلت عنه هالة هذا الفهم الفاسد رأت كلمة "**غُصبنا**"، فخطر ببالها معنى الاغتصاب البدني الجنسي كما يفهمه الناس ويفعله المجرمون منهم، مع أن الاغتصاب يكون أيضا للحقوق والأموال، بل إن الشيعة أنفسهم شرحوا القصد من هذه العبارة، يقول علي الشهرستاني الشيعي في مقال له عن هذا في مجلة "**تراثنا**": « **وأقصى ما يمكن هو الدلالة هو وقوع التزويج عن إكراه لا عن طيب خاطر**»[٧]!

ومما يشهد لهذا الجهل أو التدليس الذي تمارسه هالة دعواها أن عمر بن الخطاب اغتصب عاتكة بنت زيد، فقالت: «**ولقد ذكرت المؤلفات السنية التي يُحْتجُّ بها اغتصاب عمر لعاتكة بنت زيد**»، وأصل الرواية أن عاتكة مات عنها زوجها، وكانت قررت ألا تتزوج، فتزوجها عمر بن الخطاب، فلما دخل امتنعت منه، فغلبها على نفسها، ثم انصرف، ثم بعثت له تطلب منه الرجوع. كل هذا في المصادر التي أحالت إليها هالة! بل أزيد هالة من الشعر بيتا –كما يقول العرب–: إن كان اغتصبها، فلماذا استدعته بعد ذلك؟! ثم لماذا كانت بعد ذلك تقبّل رأسه وهو صائم؟! ففي الروايات التي في مصادرنا التي نحتج بها: «**كانت تقبّل رأس عمر وهو صائم**»! فما الذي يعنيه هذا عندكن معشر النساء... يا

---

٦ ص١٤١.

٧ تراثنا، العدد ٧٧ و٧٨، ص١٦٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٢٥هـ.

هالة؟ حاولت وتحاول هالة أن تسقط من قدر عمر في عين القارئ الفرنسي والمستمع، لكنها تخفي عنه ما يرفع قدره عندهم، فحينما كتبت: «**معروف بكراهيته للنساء**»[٨] كانت كاذبة.

ومن المواضع المثير للسخرية أيضا أنها وجدت عبارة: «**اليوم أكملت لكم دينكم**» في كتب الرواية على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأرادت أن تشكك فيها فقالت: «**من قال: اليوم أكملت لكم دينكم؟**»[٩]، والجواب: قالها النبي صلى الله عليه وسلم كما في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

ومما يدل على "**الغباء الفكري**" عند أمثال هالة أنهم مهما بالغوا في "**التدليس**" و"**الإيهام**" و"**المكر**" فإن الله يفضحهم ويبطل محاولاتهم، فمع كل هذا الاجتهاد من هالة في محاولتها التشكيك في نزاهة أبي بكر، فإنها أوردت ما يهدم كل ذلك، فقد أوردت قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم للناس وأنه قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر: ١]، فبكى أبو بكر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الموحى إليه من السماء: «**على رسلك يا أبا بكر، فإني لو كنت متخذا خليلا من العباد لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده**»[١٠] قلت: الله أكبر! فانظر كيف شهد النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بأن صحبته صحبة إيمان وصدق وإخلاص، ليس فيها شائبة خيانة ولا نفاق، إلى أن "**يجمع الله بينهما عنده في الجنة**"، وليس وراء هذا سوى خيالات خريجة أدب فرنسي.

التدليس والكذب:

استعملت هالة الوردي مثل غيرها من المتغربين التدليس والكذب، بل وإيهام الإشكال، حاولت هالة الوردي مرارا إيهام القارئ بوجود إشكال في غير موضع الاستشكال، فهي تستشكل أمورا لا إشكال فيها، أو قل: تتكلف ذلك ظنا منها أنها على منهج كبار الفلاسفة من أئمة "**تحليل الخطاب**"، ولو عرض مثلها على تلميذ في الابتدائية لما وجد لذلك وجه استشكال لشدة البيان فيها، فليس كل

---

٨ ص١٤١ هل ذكرت للفرنسيين أن من المروي عن عمر بن الخطاب أنه كان قد جعل للنساء أجرة شهرية، وقال على فراش الموت: «**لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل من بعدي**»، وهذا في المصادر التي نحتج بها، فهل هذه حال من يكره النساء؟! فهلا راجعت هذا؟!

٩ ص٦٩.

١٠ ص١٢٦.

أصفر ذهبا، ولكن لضعف فهمها، وسطحية نظرها، وعدم أهليتها لتعقُّل اللوازم والدلالات تسارع إلى إعلان الاستشكال، وتظن أنه يكفيها لذلك وضع علامة استفهام في آخر الجملة، وهذا لعب، وربما تفوَّقت على كثير من أقرانها وزملائها وزميلاتها بسبب كمية التدليس والكذب والتزوير في كتابها، ومن المثير أنك إذا أسقطت مواضع التدليس من كتابها وأسقطت الحشو والتكرار والزيادات فسيصير كتابها رسالة من عشر صفحات، يمكن قراءتها أثناء النزول إلى نفق المترو في باريس، ثم الاقتناع بفشلها في تحقيق مقاصدها، وبمجرد وصولك إلى محطتك ستقصد أول مزبلة لرمي الرسالة فيها، ويعتصرك الندم على تضييع المال الذي اشتريت به الرسالة ولو كان "**أورو**" واحدا أو أقل!

كانت المواضع التي استعملت فيها هالة "**التدليس**" و"**المغالطات**" بأنواعها كثيرة جدا، ولذلك سأقتصر على بعضها كي لا يطول هذا النقد إن شاء الله:

- الموضع رقم: ١

قالت هالة: «**أصبح الرسول شديد الهزال والشحوب لدرجة قال معها صاحبه أنس بن مالك لما عاده: كأن وجهه ورقة بمصحف**»[١١].

وقولها يدل على أحد ثلاثة أمور، إما على جهلها، أو على تدليسها، أو هما معا، فإن هذا المعنى الذي ذهبت إليه لا علاقة له باللفظ، بل هو نقيض ذلك، فالعبارة استعملت للدلالة على الجمال والحسن، لا على الهزال والضعف، يقول أبو العباس القرطبي: «**قوله: وكأن وجهه ورقة مصحف، هذه عبارة عما راعهم من جماله وحسن بشرته ومائِيَّة وجهه**»[١٢]، وإلى هذا ذهب القاضي عياض في (إكمال المعلم) والنووي في (شرحه على مسلم)، ودليله أنه في رواية أخرى: «**كأن وجهه مُذهَبة**»، وهي عند الإمام مسلم في صحيحه[١٣].

- الموضع رقم: ٢:

قالت عن ورقة بن نوفل: «**ولكنه ويا للغرابة لم يعتنق الإسلام**»[١٤].

---

١١ ص١٢١.

١٢ المفهم (٢/٥٣).

١٣ صحيح مسلم (١٠١٧).

١٤ ص٣٦٧.

هذا تدليس، فلماذا يعتنقه وهو لم يدرك الدعوة إليه، إنما أدرك بدء الوحي لا الرسالة؟! ولذلك قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في رفقة زوجته خديجة رضي الله عنها بعد قصة بدء الوحي في حراء بـ«**اقرأ**»: «**يا ليتني أكون فيها جذعا إذ يخرجك قومك لأنصرك نصرا مؤزرا**»، أي: تمنيت لو كنت شابا لأنصرك حينما يريد قومك إخراجك من مكة إذا دعوتهم إلى الله.

- الموضع رقم: ٣

قالت هالة: «**لأن محمدا لم يترك أية مؤسسة ذات طبيعة سياسية ولا أية وثيقة أيا يكن نوعها أو مضمونها لتكون نقطة الانطلاق باتجاه إرساء بنية سياسية أو لاهوتية ولو أولية**»[١٥].

والجواب على هذا: بل أقام وأسس دولة في المدينة، وترك المادة الخام للمؤسسات، ومنها صنعت الدولة الإسلامية المتطورة منذ عهد أبي بكر إلى الآن باختلاف أشكالها، فقد كان هناك جيش منظم، وشاهده أنه كان قد أعد جيشا لقتال الروم عند أطراف المدينة قبيل وفاته، وأنفذه أبو بكر رضي الله عنه بعده، وكان عنده عمال على الأقاليم المفتوحة مثل اليمن وغيرها، وكان قد بدأ في إنشاء ديبلوماسية السياسة الخارجية مع رسائله إلى بعض الملوك، بل إنه أقام "**السلم الاجتماعي**" و"**أصول المواطنة**" على وثيقة دستورية بعد الهجرة إلى المدينة، وأنصح القارئ الفرنسي بمراجعة هذين الكتابين، أحدهما لـ W. Montgomery Watt **مونتغمري وات وهو**: "Muhammad at Mecca" و"Muhammad at Medina"، حيث يحلل واط العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ساهمت في نجاح النبي في توحيد القبائل وإقامة كيان سياسي قوي، ومثله كتاب Patricia Crone **باتريسيا كرون** "God's Rule: Government and Islam"، ففيه تقدم الباحثة تحليلًا تاريخيًّا نقديًّا لتطور الفكر السياسي والكيان الإداري المسلم عبر القرون الأولى.

- الموضع رقم: ٤

ادعت هالة أن المسلمين تلقَّوا قرار الخروج إلى تبوك «**بفتور، بسبب الذكرى المؤلمة والمذلة التي خلفتها هزيمة مؤتة في أنفسهم وكانت لا تزال تلازمه**»[١٦].

---

١٥ ص٣٧١.

١٦ ص٣٢.

وهذا تصوير سينيمائي عجيب، أما الحقيقة فهي أنهم كانوا في حالة استجابة عالية مع عسر وضيق مادي، بل إن بعض الصحابة بكوا لأنهم لم يجدوا ما يركبونه وما ينفقونه للمشاركة في الغزوة، قال تعالى: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ**﴾ [التوبة: ٩٢]، وأما الروايات التي تعتمد هالة على أمثالها ففيها أنهم كانوا سبعة، سمّوا "**البكائين**"، فهل هذه حالة مذلة أو فتور يا هالة؟! وصدق ربنا إذ قال: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨].

- الموضع رقم: ٥، العلمانية في خطبة الوداع:

قالت هالة معلقة على قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «**اللهم اشهد**»: «**وبهذا وصل محمد إلى ختام مهمته، فهو أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها، وأصبح البشر مذ ذاك مرتبطين بحرية إرادتهم واختيارهم**»[١٧].

وهذه محاولة منها لإيهام القارئ بعلمانية الإسلام، وهي محاولة سخيفة.

- الموضع رقم: ٦، بتر الروايات:

زعمت هالة أن الزنا كان قد انتشر في المدينة قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت: «**اختار محمد عوض ذلك أسلوبا وقائيا عمد فيه إلى نهي المجاهدين عن العودة إلى منازلهم ليلا لئلا يكتشفوا مفاجآت مهينة، قائلا: لا تطرقوا النساء ليلا**»[١٨].

فهل اطلعت هالة على حديث: «**إذا قدم أحدكم ليلا فلا يأتين أهله طروقا، حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة**»[١٩]؟! ففيه بيان علة وسبب النهي، وهو ترك المجال للزوجة لأن تعدَّ وتهيئ نفسها، فإن لم تكن اطلعت فقد قصَّرت، وإن كانت اطلعت فقد دلَّست، وهالة تعرف معنى هذا.

- الموضع رقم: ٧

---

١٧ ص٧٠.

١٨ ص١٩٦.

١٩ رواه مسلم في صحيحه

زعمت هالة أن أبا بكر كان غائبا عن الجنازة[٢٠].

أما مصادر أهل التوحيد والسنة فتثبت أنه كان حاضرا، ففي شمائل الترمذي أنهم قالوا لأبي بكر: «**يا صاحب رسول الله، أيصلى على رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، حتى يدخل الناس**». وعلى منهج هالة في التعامل مع الروايات فينبغي أن تقبل هذه الرواية وتراجع موقفها، وأما مصادر الشيعة الرافضية ففي (مرآة العقول) عن أبي عبد الله قال: «**أتى العباس أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا علي، إن الناس قد اجتمعوا أن يدفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع المصلى، وأن يؤمهم رجل منهم**»[٢١]، وعلق المجلسي الشيعي على هذا بقوله: «"**رجل منهم" أي: أبو بكر، "فصلى عليه"، ظاهره الصلاة وحده، لكن لا ينافي ما رويناه عن الاحتجاج من اقتداء الجماعة به**». فها هم الشيعة يثبتون أنه صلى عليه، ولم يكن غائبا!

- الموضع رقم: ٨

قصدت هالة إلى الطعن في علي بن أبي طالب باستحضار زواج عمر من أم كلثوم ابنة فاطمة فقالت: «**ونظرا لضخامة المبلغ المعروض، انتهى الأمر بعلي إلى القبول بتزويج ابنته الطفلة بأمير المؤمنين العجوز**»[٢٢].

والمثير فيما قالته هالة أنه لم يرد ذكر قيمة المال في المصادر إلا بعد الموافقة على التزويج لا قبله!

- الموضع رقم: ٩

قالت هالة: «**عندما نتصفح كتب التراث الإسلامي نلاحظ في غالب الأحيان أن الحد الفاصل بين مفهومي الصحابي والمنافق ليس إلا خيطا رفيعا**»[٢٣].

هذا تدليس من هالة الوردي، فإن هذا التراث الذي تصفه بالإسلامي هو نفسه التراث الشيعي،

---

٢٠ ص٢٤٥.

٢١ وهو شرح أصول الكافي للكليني للمجلسي (٢٦٧/٥، رقم: ٣٧)، تحقيق هاشم الرسولي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٧٠ هـ.

٢٢ ص١٤١.

٢٣ ص٩٣.

ولا وجود فيه لهذا الخيط، بل إن المفهومين منطبقان عند الشيعة، أما التراث الإسلامي فالفرق فيه بين "**المنافق**" و"**الصحابي**" فرق شاسع، مثل الفرق بين "**الباحث التاريخي المحقق**" وبين "**هالة**".

- **الموضع رقم: ١٠، جعل المنقبة مثلبة:**

قالت هالة: «**بل إن العديد من كتب التراث الإسلامي تتوقف عند رجال من أمثال أبي بكر وعمر، فتصفهم في غالب الأحيان كرجال قابلين نوعا ما للارتشاء، بل إن أبا بكر وحتى بعد مبايعته خليفة ظل رجل أعمال يبرم في الأسواق الصفقات التجارية المدرة للأرباح، لدرجة اضطر معها صديقاه عمر وأبو عبيدة إلى القول له: إن سلوكياتك هذه لا تليق بمن كان خليفة الرسول**»[٢٤].

سأضع أصل الرواية المناسبة لهذه التهمة الصلعاء، وأترك للقارئ اكتشاف طريقة هالة في تحويل المناقب والفضائل إلى مثالب وعيوب، فقد كانت تظن أنه لن يراجع المصادر بعد تهمتها لأبي بكر أحد، لكن هيهات يا هالة.

أوردت هالة نفسها الرواية التي اعتمدها في هذه التهمة، محيلة إلى طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق لابن عساكر، وفيها أن أبا بكر خرج إلى السوق بعد توليته، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له: «**أين تريد يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئا، فانطلق، ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن**»[٢٥]. هكذا أوردت هالة الرواية، وواضح جدا أن أبا بكر أراد الدخول إلى السوق، فمنعوه لأن ذلك يشغل عن القيام بمصالح المسلمين بالنظر والتدبير الأحسن، وجعلوا له أجرة تكفيه، وليس في الرواية ما يدل على قولها: «**ظل رجل أعمال..**»، فما زعمته تخيّل سينيمائي فقط، وأما زعمها أن بعض كتب التراث الإسلامي تصف أبا بكر بالارتشاء، فالصحيح أنها كتب "**التراث الشيعي الرافضي**"، وليس "**التراث الإسلامي**"، فانظر كيف تدلس هالة! وتخفي "**مذهب**" تلك الكتب! ثم إن عبارة: «**حتى نفرض**» رواية ابن عساكر، وأما عند ابن سعد في طبقاته فالعبارة: «**نفرض**»، وكان الأولى أن تأخذ بهذه الرواية الأقدم، وكان ينبغي أن تنبه، لكنها لم تفعل، وهذا من الأمارات والشواهد الدالة على أنها لا ترجع إلى المصادر الأصلية بنفسها.

---

٢٤. ص١٣٣.

٢٥ ص١٣٣.

- الموضع رقم: ١١

ذكرت هالة رواية اعتمدتها للتشكيك في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس تبعا لتشكيك الشيعة، فقالت: «**نكتشف في المصادر الموثوقة رواية مثيرة للاستغراب، وفيها نرى بلالا يقصد الرسول ويسأله: يا رسول الله، فمن يصلي بالناس؟ فإذا بجواب الرسول يأتيه جازما قال: يا بلال، قد بلغت، فمن شاء فليصل ومن شاء فليدع....**»[٢٦].

كان قصد هالة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غير مهتم بتعيين الإمام لصلاة الناس كما هي رواية (بحار الأنوار) للمجلسي التي أشارت إليها، ونصها: «**يصلي بالناس بعضهم فإني مشغول بنفسي**»، وأحالت على مصنف ابن أبي شيبة ومسند أحمد، لكنها لم تراجع (مجمع الزوائد) على عادتها وإن أحالت على الكتاب، فإن في (مجمع الزوائد): «**رواه أحمد، وفيه سفيان بن حسين، وهو ضعيف في الزهري، وهذا من حديثه عنه**»[٢٧]، وابن أبي شيبة رواه أيضا عن سفيان عن الزهري. فالرواية إذن غير ثابتة ومع ذلك اعتمدتها هالة! وعلى فرض صحة الرواية فقد خانت هالة قارئها بلؤم وخبث، ولبيان هذا أسوق الرواية كاملة ونصها: «**أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال بعد مرتين: يا بلال قد بلغت فمن شاء فليصل ومن شاء فليدع، فرجع إليه بلال فقال: [يا رسول الله] بأبي أنت وأمي من يصلي؟ قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس**». ففي الرواية أن سؤال بلال عمن يصلي بالناس كان بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**قد بلغت**»، وهالة تعكس تدليسا وتزويرا، وفي الرواية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، وهذا ما حذفته هالة موهمة أن الرواية تقف عند: «**ومن شاء فليدع**»، وإلا فإن هالة تنقل بالوسائط، ولا ترجع إلى المصادر! وأحلاهما مرٌّ، وأما رواية المجلسي في (بحار الأنوار) فهي كما في إحالتها في الجزء ٢٢ الصفحة ٤٦٧[٢٨]، والمجلسي يحيل هناك على "**عم**"، أي: (أعلام الورى) للطبرسي من علماء القرن السادس الهجري (١/٢٦٥)[٢٩]، و"**شا**"، أي: (الإرشاد) للمفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ (١/١٨٢)[٣٠]، وكلاهما يذكر الرواية بلا إسناد،

---

٢٦ ص٢٤٤.

٢٧ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٨١).

٢٨ دار إحياء التراث العربي.

٢٩ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٣٠ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

والمؤلفان من القرن الخامس والسادس الهجريين، ومع ذلك تعتمدهما هالة!

- الموضع رقم: ١٢

قالت هالة في حروب الردة: «**حيث بلغت الفظاعة ذروتها في فصل شهير استبيح فيه أكل لحم البشر**»[٣١]، وقالت في الهامش: «**ذهب ضحيته مالك بن نويرة، وقد أعدمه خالد بن الوليد، إذ ضرب عنقه وأمر برأسه فجعل مع حجرين، وطبخ على الثلاثة قدرا، فأكل منها خالد تلك الليلة، وذلك قبل أن يغتصب امرأة مالك بن نويرة**»[٣٢]، وأحالت على (البداية والنهاية) لابن كثير.

وسنفترض أن الرواية التي اعتمدت عليها هالة صحيحة، فليس فيها أن خالدا أكل لحم مالك، بل فيها أنه أكل من القدر التي طبخت على الحجرين والرأس، ففي الرواية: «**فأكل منها**»، فالضمير يرجع إلى القدر "**المؤنثة**"، والرأس "**مذكر**"، فمع الخيال الواسع لهالة ينضاف الجهل باللغة العربية... جهل الفرق بين ضمير المذكر وضمير المؤنث! والتحقيق يقتضي أن الرواية غير ثابتة، فقد أوردها ابن كثير بقوله: «**يقال**»، ولا أعرف لها إسنادا، ولا هالة!

- الموضع رقم: ١٣، مغالطة التعميم:

قالت هالة: «**كان لبنية علي الغريبة أن جعلت منه أضحوكة المسلمين، لدرجة ذهبت معها امرأة رأته مارا في الطريق حد العجب من دمامة جسمه وتشوهه قائلة: كأنما كسر ثم جبر**»[٣٣]، وقالت في الهامش: «**مما لا شك فيه أن هذا الوصف الذي يجعل من علي أضحوكة هو نظرية مضاربة وضعها السنة بهدف التقليل من قيمة الوجه الرمزي الذي يجله معارضوهم الشيعة ويعتدّون به**».

قلت: إن كان كل هذا الوصف كذبا من اختلاق السنة لتشويه صورته، فكيف تعتمد هالة على هذا الكذب لتجزم أن فاطمة لم تكن لتقبله زوجا بسبب هذه الدمامة التي وصفت رواياتها بالموضوعة؟! الذي يغلب على ظني أن هالة كانت تعتمد على مصادر استشراقية كثيرة مختلفة، ليست على طريقة واحدة، تكون متناقضة أحيانا، فتنقل هالة الموقفين المتناقضين وتلفق بينهما، فينتج عن ذلك صورة

---

٣١ ص٣١١.

٣٢ ص٣١١.

٣٣ ص١٦٨.

روائية مشوهة مثل هذه!

وأما رواية: «**كأنما كسر ثم جبر**» فهي عند ابن قتيبة في (المعارف) بعد أن نقل وصف الواقدي لعلي بن أبي طالب، والواقدي راو غير مأمون، وعبارة ابن قتيبة: «**وقال غيره: ورأته امرأة..**»!

- الموضع رقم: ١٤

من شدة "**اللؤم**" و"**التدليس**" أو "**العمى**" و"**الحقد**" اللذين غشيا قلب هالة الوردي أنها قالت: «**ثمة حادثة مثيرة للعجب بعض الشيء، تظهر محمدا مقبّلا المال الذي وضعه عثمان في حرجه**[٣٤] **وقائلا: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[٣٥].

وكان ما أثارها هو مشهد تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم للمال بين يديه، وهو مشهد صادم حقا، سوى أنه مشهد خيالي، نتج عن حالة "**عمى حقدٍ**" أصابت هالة أثناء القراءة، فإن الذي في الروايات "**يقلّبها**" وليس "**يقبّلها**"! وهذا ما ينبغي أن يدفع القارئ إلى الاحتياط الشديد من ضعف تركيزها أو تدليسها، وعدم الثقة في قراءتها للنصوص التاريخية الإسلامية.

- الموضع رقم: ١٥

وصفت هالة ما حصل لجيش مؤتة الذي سله خالد بن الوليد من بين يدي البيزنطيين بالهزيمة، بل زعمت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بنفسه لاستقبال هذا الجيش المنهزم والناس معه يحثون التراب على الجيش صارخين: «**يا فرار، فررتم في سبيل الله**»[٣٦].

وأصل الرواية عند ابن إسحاق عن عروة، وهذا إسناد مرسل ضعيف، ومعنى مرسل وجود انقطاع زمني بين عروة بن الزبير وبين الأحداث، لأنه تابعي لم يحضرها، ولم يذكر من حدثه بأخبارها!

قلت[٣٧]: فها هي هالة تدلس مرة أخرى، أو تسيء قراءة الروايات، فقد فاتها النظر في الروايات الدالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «**أنتم الكرارون**»، أي: لستم فارين، بل فاتها إعمال

---

٣٤ هكذا وقع في الأصل والصحيح: في حجره.

٣٥ ص٣٠.

٣٦ ص٢٩.

٣٧ من عجائب القدر، أنني حينما أردت البدء في التعليق على هذا الموضع أخذت كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لأراجع فيه أحداث القصة، فتحت الكتاب في وسطه، فكان الحاصل أن الفتح كان على أحداث سرية مؤتة!

العقل وحسن المقابلة بين الروايات، فهذا أمر لا يحسنه إلا المؤرخون لا خريجو الأدب الفرنسي المتخصصون في "**الخيال الأدبي**"، فهؤلاء يُمدحون في تخصصهم، فانظر إلى ابن كثير المؤرخ البارع يقول: «**وهذا مرسل من هذا الوجه، وفيه غرابة، وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق، فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول صلى الله عليه وسلم المسلمين، وهو على المنبر في قوله: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه**»[٣٨].

- الموضع رقم: ١٦

قالت هالة: «**إن ما يثير الاستغراب أكثر هو افتقارنا إلى أية وثيقة، إلى أي أثر ملموس معاصر لحقبة الرسول**»[٣٩].

والذي يثير الاستغراب في قولها أنه إن صح قولها فقد سقط كتاب هالة كله، لأنها لم تعتمد على أية وثيقة معاصرة للأحداث كما زعمت، وهذا يدل على أن ما فعلته هالة كان "**لعبا**".

- الموضع رقم: ١٧

قالت هالة: «**لأن أيا من المصادر الإسلامية التي وصلتنا لا يقدر على الزعم بأن صاحبه جاور الحقبة التي عاش فيها محمد**»[٤٠].

وهل عاش الأسقف الأرميني[٤١] الأحداث؟! ستجيب هالة: لكنه اعتمد على شهود، إذن يجوز الاعتماد على الرواية الشفوية لشهود العيان ومن ينقل عنهم ذلك. إنه الكيل بمكيالين يا هالة؛ فعدم المعاصرة -أي: الانقطاع الزماني- والمعاصرة مع الانقطاع المكاني يُعدان في النقد التاريخي شيئا واحدا، يعد انقطاعا بجامع عدم المعاينة. وفي الحديث عندنا: ليس الخبر كالمعاينة.

القراءة الاستشراقية:

---

٣٨ البداية والنهاية (٦/٤٣١).

٣٩ ص٣٦٤.

٤٠ ص٣٨٣.

٤١ ينبغي للقارئ مراجعة الأصل ليعرف السياق.

كان على هالة ألا تخلي كتابها من الإحالة إلى بعض المؤلفات والمقالات الاستشراقية لترضي القراء الفرنسيين، حتى لا يقال عنها: إنها اقتحمت عالما ليس لها فيه سلف أو موجه معين ومصحح، وإلا فهي تعرف أن الفرنسيين سيتشككون في عملها، خاصة إذا قرؤوا ردي هذا، فهي متخصصة في دراسة خيال الناس في الشعر والمسرح، أي: ليس لها ما يؤهلها لقراءة أحداث حقيقية. كانت عيون هالة القارئة للروايات عيونا استشراقية، يدل على هذا كمُّ المصادر الاستشراقية التي اعتمدتها، والتي كانت توجهها أثناء كل ذلك، ولائحة مصادرها شاهدة، وقد اعتمدت على مستشرقين قدماء ومعاصرين، وتسمي المعاصرين منهم: «**علماء الإسلاميات الغربيين المعاصرين**»[٤٢]، ومما يدل على شدة تعلقها بما أنتجوه أنها دُفعت إلى تأليف كتابها هذا لأن «**إفصاحات المصادر غير الإسلامية: اهتم التاريخ الغربي القديم اهتماما كبيرا بموت محمد**»[٤٣]، ولذلك اهتمت هي أيضا بذلك، ولكنها وقعت في نفس ما وقعوا فيه من الجرائم الأدبية في حق "**المناهج العلمية**".

اعتمدت هالة الوردي على مصادر استشراقية كثيرة، وكانت حالة التقديس غالبة عليها، بحيث لم تستطع كتم اعتقاد عصمة هذه المصادر من الخطأ في النقل، فاعتبرت ما رواه المستشرقون من أحداث التاريخ «**شهادة غير قابلة للدحض**»[٤٤]، و«**من الصعب التشكيك في صحة هذه المعلومات الزمنية**»[٤٥].

لم يخل كلام هالة الوردي من اعتراف مهم جدًّا يهدم هذه الشهادة التي اعتمدت عليها، وهو أن الكتابات الاستشراقية كانت مبنية على "**عداء**"، وهذا مشكك في "**النقد الاستشراقي للسيرة النبوية**"، ومثل هذا "**العداء**" يمنع من العدل والإنصاف والتجرد العلمي، فإنها قالت: «**إن أقدم المؤلفات الغربية المكرسة لسيرة محمد والتي تجاهر بعدائها للإسلام**»[٤٦]، ومع ذلك تستغرب هالة تشكُّكَ المسلمين بل والمفكرين في مصداقية الخطاب الاستشراقي، وقد ضربت لذلك مثالا بإدوارد سعيد[٤٧] النصراني الأمريكي

---

٤٢ ص٢٥٢.

٤٣ ص٣٧٧.

٤٤ ص٣٧٩.

٤٥ ص٣٨٣.

٤٦ ص٣٢٧.

٤٧ ص٣٩٤.

ذي الأصل الفلسطيني، ووصفت موقف تشككه في الاستشراق بـ«**التحيز العدائي ضد الاستشراق**»[٤٨]، وقالت: «**لا يزال ينظر في العالم الإسلامي إلى هذه الأعمال النقدية التي ينتجها المستشرقون نظرة ملؤها الارتياب بحيث يبدو كما لو أن المسلمين يفضلون التشكيك بنوايا العلماء الغربيين بدلا من فحص أسس تاريخهم**»[٤٩]، وكيف لا يرتابون وقد اعترفت هالة بأن بداية التأسيس الأول للاستشراق كان بدافع العداء للإسلام؟! وقد استمر كذلك في الغالب. وهالة مثال على ذلك، بل لن أفوِّت الفرصة لأنبه على أن إدوارد سعيد كان نصرانيًّا، فما محله هنا من الموقف الإسلامي من الاستشراق؟! سيكون الجواب صادما.

ومن عباراتها التي تنقلب عليها قولها -وهي تذكر بعض الروايات-: «**أدت هذه التناقضات العديدة بالمستشرقين إلى التشكيك في موثوقية المصادر الإسلامية**»[٥٠]، وصورة القلب أن يقال: "**أدت هذه التناقضات في الدراسات الاستشراقية بالمفكرين المسلمين إلى التشكيك في موثوقية دراساتهم**"!

ومن المواضع التي صرحت فيها بالاعتماد على القراءات الاستشراقية:

- **الموضع رقم: ١**

«**بعث محمد لينذر بنهاية العالم الوشيكة وليشهد اليوم الآخر**»[٥١]، وعلقت في الهامش: «**في الواقع، أكد على هذه الفكرة العديد من المستشرقين، ومنهم خصوصا بول كازانوفا في محمد ونهاية العالم، دراسة نقدية**»!

- **الموضع رقم: ٢**

«**يكتب هنري لامينز قائلا بسخريته الشهيرة...**»[٥٢]، وتنقل عن **إيتان كولبرغ** من مقالة له[٥٣].

---

٤٨ ص٣٩٣.

٤٩ ص٣٩٣.

٥٠ ص٣٩٣.

٥١ ص٣١٢.

٥٢ ص١٧٥.

٥٣ ص١٧٥.

- الموضع رقم: ٣

اعتمدت هالة على مؤرخ بيزنطي اسمه **ثيوفان** وعلى القاموس الفلسفي والتاريخي **لبايل وآن ماري دلكامبر وديفيد ساموبل مارجيلوث**[٥٤].

- الموضع رقم: ٤

نقلت هالة عن **فريديريك إمبير** قوله: «**لا يظهر اسم محمد على أي من أقدم الكتابات المكتشفة في شبه الجزيرة العربية**»[٥٥]. وهذا مما تسميه هالة: نظريات النفي[٥٦].

- الموضع رقم: ٥

نقلت هالة عن مستشرق من القرن التاسع الميلادي بواسطة مستشرق من القرن العشرين –**كينيث وولف**– أن النبي صلى الله عليه وسلم كان تنبأ بقيامه بعد موته بثلاثة أيام، وحينما تغير جسده ابتعد عنه الصحابة، فاقتربت الكلاب منه بسبب رائحة التعفن، ولذلك صار المسلمون يقتلون الكلاب كل عام. ولم تعقب بشيء! وهذه خرافات بعضها أدعى إلى السخرية من بعض، وكل ذلك كذب، فأمثال هؤلاء المستشرقين مولعون بمثل هذا، ومثل هذه المستشرقة ذات الأصول التونسية مولعة بنقل مثل هذه الخرافات.

- الموضع رقم: ٦

اعتمدت هالة على كتاب نشر عام ١٩١١م، وقد تطورت الدراسات وصُحِّحَت مواقف، مع التنبيه على أن هذا المستشرق وغيره ممن يروجون لدعوى تحريف القرآن الكريم، فإنه ما إن بدأ في مقدمة الكتاب حتى صرح بذلك منذ الصفحة الثالثة، وعلى مثل هؤلاء اعتماد هالة.

يتبع إن شاء الله.

---

٥٤ ص ٢٥٠و٢٥١ هامش.

٥٥ ص٣٥٦.

٥٦ ص٣٥٧.